ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2024) Vol (15) Issue (12)section(1): 38-63
DOI:1https://doi.org/10.25130/jis.24.15.12.1.2

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 *(Print)* *E-ISSN*: 2663-8800 *(Online)*
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ

The Rules of Guarantee in View of Sorat Yusuf (Peace be Upon Him)-

Dr. Marwa shihab ♦

Department of prophetic‹aqeaCollege of Islamc sciences/tikrit University-Iraq

KEY WORDS:

Disagreement, Mu'tazila, Ash'ariyyah, Attribute, Nonexistent

ARTICLE HISTORY:

Received: 2024/ 12/3

Accepted: 2025/ 1/12

Available online:2025/ 1/12

©.2024This is an open access

article under the CC by licenses

http://creativecommons.org /licenses/by/4.0/

ABSTRACT

Non-existent issue is one of the speech problems the at is surrounded by ambiguity and obscurity due to the difficulty of thef the issue and the different doctrinal rulings which depend on it, Discussions and arguments took place among speakers, especially between the two major schools, the Mu'tazila and the Ash'ara, so each school tried to oblige the other with what it sees and believes in the non-existent Perhaps the reason behind the ambiguity of this issue is:Most of of what was mentioned about this problem was mentioned in the book of the opponents of the Mu'tazila , and this ambiguity encourage many researchers to debend on the Mu'tazila to say that the world is eternal and many of them tried to refute the Mu'tazilas' statement about the thingness of the non-existent, and perhaps the main axis in this was .raised about it in particular

After this brief presentation of the non-existent and the difference between speeches, it can be said that the difference in the concept of the non-existent between the Mu'tazila and the Ash'ara relates to the nature of the existence of things that do not existof things and how to describe it Corresponding author

♦ *Corresponding author:* marwa.muzahem@tu.cdu.ig

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2024) Vol (15) Issue (12)section(1): 38-63
DOI:1https://doi.org/10.25130/jis.24.15.12.1.2

ابراهيم ــ عليه السلام ــ ناظراً ام مناظراً – دراسة عقدية لقصة ابراهيم ــ عليه السلام ــ في سورة الانعام –

م.د مروة شهاب

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة تكريت

الخلاصة: إن مسألة المعدوم من المشكلات الكلامية التي أحاطها اللبس والغموض بسبب صعوبة المسألة وما بني عليها من أحكام عقدية مختلفة ، فقد دار بين المتكلمين نقاشات ومجادلات لا سيما بين المدرستين الكبيرتين المعتزلة والاشاعرة ، فحاولت كل مدرسة إلزام الأخرى بما تراه وتعتقده في المعدوم ولعل السبب في غموض هذا الموضوع ، هو أن معظم ما ورد عن هذه المشكلة كان في كتب الخصوم المعتزلة ، وقد تسبب هذا الغموض في جعل كثير من الباحثين يلزام المعتزلة في القول بقدم العالم ومحاولة كثير منهم رد قول المعتزلة في شيئية المعدوم) ، ولعل المحور الرئيس في هذه المشكلة هو الخلاف حول لفظ شيء والجدل الكلامي الذي أثير حوله خاصة.

وبعد هذا العرض الموجز للمعدوم والاختلاف الحاصل بين المتكلمين يمكن القول إلى أن الاختلاف في مفهوم المعدوم بين المعتزلة والأشاعرة يتعلق بطبيعة وجود الأشياء غير الموجودة حاليا وكيفية تصورها :

المعتزلة: يرون أن المعدوم هو شيء له وجود في الأذهان ولكنه غير موجود في الواقع الخارجي.

والمعتزلة يرون أن المعدوم عندهم يمكن أن يتصور وأن يكون له حقيقة في الذهن ويعتبرون أن الأشياء المعدومة لها صفات محددة حتى وإن لم تكن موجودة في الواقع. الأشاعرة: يرون أن المعدوم لا يمكن أن يكون له أي نوع من الوجود، لا في الأذهان ولا في الواقع.

المعدوم عند الأشاعرة هو شيء غير موجود مطلقا ولا يمكن أن يتصور أو يعتبر له أي صفات لأنه لا وجود له بأي شكل من الأشكال.

هذا الخلاف أثر على بعض الصفات الإلهية ولعل أهم تلك الصفات هي صفة الكلام الألهي فالمعتزلة ذهبوا إلى القول بأن الكلام مخلوق بخلاف الاشاعرة الذين يقولون بالكلام النفسي .

الكلمات الدالة: الاختلاف ، المعتزلة ، الاشاعرة ، صفة ، المعدوم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

فالحمد لله على نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ...

فمسألة المعدوم من المشكلات الكلامية التي أحاطها اللبس والغموض بسبب صعوبة المسألة وما بُني عليها من أحكام عقدية مختلفة ، فقد دار بين المتكلمين نقاشات ومجادلات لا سيما بين المدرستين الكبيرتين هما المعتزلة[1]، والأشاعرة[2]حاولت كل مدرسة إلزام الأخرى بما تراه وتعتقده في المعدوم .

ولعل السبب في غموض هذا الموضوع ؛ هو أن معظم ما ورد عـــــــن هذه المشكلة كان في كتب الخصوم للمعتزلة ، وقد تسبب هذا الغموض في جعل كثير من الباحثين يلزام المعتزلة في القول بقدم العالم ومحاولة كثير منهم رد قول المعتزلة في شيئية المعدوم[3]، ولعل المحور الرئيس في هذه المشكلة هو الخلاف حول لفظ شيء والجدل الكلامي الذي أثير حوله خاصة وأنها قد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بمدلولات مختلفة.

وقد أثرت هذه المشكلة على بعض مسائل الاعتقاد ومنها الكلام الإلهي فكان عنوان بحثي **(أثر الاختلاف في خطاب المعدوم بين المعتزلة والأشاعرة على صفة الكلام الإلهي ــ دراسة عقدية مقارنة ــ)**.

([1]) المعتزلة: هي من أشهر فرق المتكلمين وأهمهم، وهم واضعوا علم الكلام وعلى يدهم بلغ درجة الكمال، وأصبح أشبه ما يكون بفلسفة وان تأثروا بالفلسفة اليونانية والحكمة الشرقية، إلا أن عبقريتهم وشخصيتهم الإسلامية كانت واضحة الأثر بينة المعالم، وهم يمتازون بسعة الاطلاع على الثقافات الأجنبية كما انهم يمتازون بعدم تعصبهم للماضي القديم، فضلاً عن ذلك فإنهم يمثلون الرأي الحر إذ درسوا المسائل الدينية وناقشوها في ضوء العقل والمنطق، ينظر: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية: مصطفى بن محمد بن مصطفى، 1424هـــــــــــــ_ 2003م، 371 .

([2]) الأشاعرة: وهي فرقة سُميت بهذا الاسم نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ولم يكن للأشعرية أصحاب فكرة جديدة أو مذهب مبتكر، ولكنهم حاولوا التوفيق بين آراء المعتزلة وهو أنصار العقل وبين آراء السلف، وهو دعاة التمسك بالقديم وظاهر اللفظ لذلك سمي الأشاعرة بأصحاب الحلول الوسطى للمشكلات الكلامية، ينظر: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، 600 .

([3]) ينظر: في علم الكلام: أحمد محمود صبحي، دار النهضة المصرية، ط1، 1985م، القاهرة، 273 .

وقد قسمته على مبحثين، تناولت في المبحث الأول التعريفات بالخلاف ، والمعدوم من جهة اللغة والاصطلاح ، أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه سبب الخلاف بين المتكلمين وما تفرع من أثر عقدي على مسألة الكلام الإلهي .

ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الاول

التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول

تعريف الاختلاف لغة واصطلاحا

اولاً: الاختلاف لغةً:

الاختلاف لغةً يأتي على وزن افتعال، ويقال: "تخالف القوم واختلفوا، إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر. ويقال: تخالف الأمران، واختلفا إذا لم يتفقا وكل ما لم يتساو: فقد تخالف واختلف".

ويكون الخلاف على أنواع منها : خلاف قدام؛ فنقول جلست خلف فلان أي بعده فهو التخلف عمن تقدم ، ويكون الخلاف، بمعنى خالف الشيء الشيء، أي غايره وباينه وكان ضده ولم يوافقه، وعكسه وافقه نقول: رجل خالف وخالفه أي يخالف كثير الخلاف . ومنه قولهم: اختلف الناس في كذا.

قال ابن منظور[1]ــ رحمه الله ــ : "ويقال القوم خِلْفةٌ أَي مُخْتَلِفون وهما خِلْفان أَي مختلفان" .[2]

([1]) هو: "محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) : الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره" . ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (تـــــــ 764 هـــــــ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، و تركي مصطفى، دار إحياء التراث، 1420هـــــــ_ 2000م، لبنان، 5/ 37 .

([2]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ط3، 1414هـــــــ، بيروت، 513/1 .

وفي الكليات : "وخالف عنه بعد يقال : خالفني زيد إلى كذا : إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه : إذا كان الأمر بالعكس ، ولعل هذين الاستعمالين باعتبار التضمين والخلاف بمعنى المخالفة أعم من الضد ، لأن كل ضدين مختلفان" [1] .

ثانياً: الاختلاف اصطلاحاً:

أما تعريف الخلاف في اصطلاح المتكلمين فقد عرفه الجرجاني [2] رحمه الله ــ بقوله : "الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطل".[3]

وقال الراغب[4]ــ _ رحمه الله _ "والاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة"[5] .

وخلاصة ما تقدم نلاحظ ان الاختلاف هو أن يذهب كل واحد من المتخالفين إلى خلاف ما ذهب إليه الأخر .

([1]) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ. 426/1 .

([2]) هو : "علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من أئمة المتكلمين، ومن كبار العلماء بالعربية، من مؤلفاته: التعريفات، شرح مواقف الآيجي، توفي سنة 816 هجرية" ، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، 7/5

([3])التعريفات: للجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـــــ_ 1983م، بيروت، 101 .

([4]) هو : "الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي". ينظر: الوافي بالوفيات، 13/ 29 .

([5]) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني ،المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ ، ص:294 .

المطلب الثاني

تعريف المعدوم في الاصطلاح اللغوي والاصطلاح الكلامي

أولاً : تعريف المعدوم في الاصطلاح اللغوي .

العدم في اللغة يدل على الانتهاء والفقدان والذهاب هذا من حيث وضع اللغة ، والمعدوم له معاني أخرى في اللغة والذي يهمنا هنا هو ما ذكرته في أول الكلام ، وهو ما دل على الانتهاء والفقدان .

قال الخليل [1] _ رحمه الله _ : "العَدم فقدان الشيء، وذهابه، والعُدم لغة، إذا أرادوا التثقيل فتحوا العين، وإذا أرادوا التخفيف ضموها. عدمت فلانا أعدمه عدماً أي فقدته، أفقده، فقداً، وفقداناً؛ أي غاب عنك بموت، أو فقد، لا يقدر عليه، وأعدمه الله مني كذا، أي أفاته، ورجل عديم لا مال له، وقد عدم ماله، وفقده، وذهب عنه، والعديم الفقير" [2] قال الجوهري[3]:"عدمت الشيء بالكسر: أعدمه عَدَماً، بالتحريك على غير قياس، أي فَقَدته. والعَدَمُ أيضاً: الفقرُ، وكذلك العدم، إذا ضممت أوله خففت، وإن فتحت ثقلت" [4] .

قال ابن فارس [5]: "العين والدال والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على فِقْدَان الشيء وذَهابه من ذلك العَدَم. وعَدِم فلانٌ الشَّيء، إذا فقده. وأعْدمه الله تعالى كذا، أي أفاتَه" [1] .

([1]) هو : "الإمام صاحب العربية، ومنشيء علم العروض، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد الأعلام، وكان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير الشأن، يقال إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ففتح له بالعروض، وله كتاب العين في اللغة، ولد سنة مئة، ومات سنة خمس وسبعين ومائة" . ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 429/7 – 430، كشف الظنون لحاجي خليفة 1441/2، 1467.

([2]) العين، للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال . 56/2

([3]) "الجوهري إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، مصنف كتاب الصحاح وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، وللجوهري نظم حسن ومقدمة في النحو، وقد مات الجوهري متردياً من سطح داره بنيسابور في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، وقيل مات في حدود سنة أربع مئة" . ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي 80/17 – 82.

([4]) الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ، 1982/5 .

([5]) "الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، صاحب كتاب المجمل ومعجم مقاييس اللغة، قال الذهبي: "وكان من

فالعدم في اللغة إذاً يدل على الفقدان والانتفاء.

ثانياً / تعريف المعدوم في الاصطلاح الكلامي .

تنوعت عبارات المتكلمين في تعريف المعدوم ولا يبعد التعريف الكلامي عن المعنى اللغوي من حيث المفهوم العام أو الإطار العام .

قال الباقلاني [2] ـ رحمه الله ـ في تعريف المعدوم: "هو المنتفي الذي ليس بشيء" [3]، وقال الرازي[4]ـ رحمه الله ـ عن المعدوم أنه: "نفي محض" [5] .

وذكر الباقلاني ـ رحمه الله ـ أنواع المعدوم فيقول: "والمعدوم منتف ليس بشيء، فمنه معلوم معدوم لم يوجد قط، ولا يصح أن يوجد، وهو المحال الممتنع الذي ليس بشيء، وهو القول المتناقض، نحو اجتماع الضدين، وكون الجسم في مكانين، وما جرى مجرى ذلك مما لم يوجد قط ولا يوجد أبداً. ومنه معدوم لم يوجد قط ولا يوجد أبداً، وهو مما يصح ويمكن أن يوجد، نحو ما علم الله أنه لا يكون من مقدوراته. ومعلوم معدوم في وقتنا هذا وسيوجد فيما بعد نحو الحشر والنشر" .[6]

رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث"، مات بالري سنة 403هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 103/17 – 105، بغية الوعاة للسيوطي 352/1.

([1]) "معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ" .248/4 .

([2]) هو : "أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني الأشعري، الأصولي المتكلم، صاحب التصانيف الواسعة في الرد على الفرق الضالة، من مؤلفاته الإنصاف، والتمهيد، توفي سنة403ه" ـ ينظر: شذرات الذهب 168/3، معجم المؤلفين109/10 – 110، الأعلام176/6.

([3]) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، 1413هـ. ص15.

([4]) محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي البكري المعروف بالفخر الرازي، من أئمة الأشاعرة المتأخرين، له مصنفات كثيرة منها: المطالب العالية، الأربعين، أساس التقديس، ويذكر عنه أنه ندم قبل وفاته على اشتغاله بعلم الكلام، ورجع إلى طريقة السلف، توفي سنة 606هجرية. انظر: شذرات الذهب 21/5، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 79/11.

([5]) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للفخر الرازي، مراجعة طه ، عبد الرؤوف سعد الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.ص55.

([6]) التمهيد ، للباقلاني، تحقيق محمود الخضيري، ومحمد أبو ريدة، الناشر دار الفكر العربي. ص40.

ويرى كثير من المعتزلة أن المعدوم شيء، ووضح ذلك الكثير من أهل العلم فيقول ابن رشد [1] ــ رحمه الله ــ : "وهذا المعدوم الممكن، ليس هو ممكناً من جهة ما هو معدوم، ولا من جهة ما هو موجود بالفعل، وإنما هو ممكن من جهة ما هو بالقوة. ولهذا قالت المعتزلة إن المعدوم هو ذات ما؛ أعني المعدوم في نفسه، من جهة ما هو بالقوة، أعني أنه من جهة القوة، والإمكان، الذي له، يلزم أن يكون ذاتاً ما في نفسه، فإن العدم ذات ما" [2] .

ولفظ شيء ورد في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [3]

قال أهل المعاني: (في هذه الآية دلالة أن (شيئا) من أسماء الله عز وجل، وأنه يجوز أن يسمى شيئا؛ لأن قوله: ((أي شيء أكبر شهادة)) جاء جوابه {قل الله}، ومعنى الشهادة البينة من طريق المشاهدة". [4]

وقال الرازي[5] ــ رحمه الله ــ : "المعدوم إما أن يكون ممتنع الثبوت، ولا نزاع في أنه نفي محض، وإما أن يكون ممكن الثبوت، وهو عندنا، وعند أبي الهذيل، وأبي الحسين البصري من المعتزلة، نفي محض، خلافاً للباقين من المعتزلة. [6] .

وعلى هذا دارت عبارات العلماء في فهم المعدوم من جهة الاصطلاح الكلامي والمعدوم عندهم ينقسم إلى المعدم بمعنى الامتناع الثبوتي وبين الإمكان الثبوتي ثم اختلفوا في تأصيل المسائل الكلامية المترتبة على هذا الخلاف وهي مسألة الكلام الإله

([1]) هو : "أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، ولد سنة 520هجرية، واشتغل بالفلسفة، وكانت له عناية بكتب أرسطو فشرح الكثير منها، من ذلك "شرح مابعد الطبيعة" أو "تفسير ما بعد الطبيعة" لأرسطو، ومن كتبه "تهافت التهافت"، "فصل المقال في مابين الشريعة والحكمة من الاتصال" وهو الكتاب الذي حاول فيه أن يقرب بين الدين والفلسفة، توفي سنة 594هـ، وقيل 595هـ" . ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون 257/2، السير 307/21، شذرات الذهب 320/4.

([2]) تهافت التهافت، لابن رشد، تقديم د. محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.ص77.

([3]) سورة الأنعام ، الآية 19.

([4]) معاني القرآن للزجاج" 2/ 234.

([5]) تمت ترجمته في الصفحة السابقة .

([6]) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص55، وينظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي ص655.

المطلب الثالث

التعريف بالمعتزلة والأشاعرة

أولاً:- المعتزلة :

الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنه[1]، ومنه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾[2]، أَيْ فَخَلُّوا سَبِيلِي[3]، أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي ، وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.

أما المعتزلة في الاصطلاح: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية[4]، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال[5] الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.[6]

والمعتزلة لهم أصول خمسة هي : (التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

وقد اطلق على المعتزلة عدة ألقاب وتسميات منها :

1ــ المعتزلة وهو أشهر أسمائهم .

2ــ العدلية نسبة إلى الأصل الثاني من أصول وهو العدل .

3ــ الوعيدية لقولهم في إجراء نصوص الوعيد على ظاهرها .

([1]) ينظر: القاموس المحيط 4/ 15، لسان العرب 11/ 440.

([2]) سورة الدخان ، الآية : 21 .

([3]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 33/21.

([4]) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص: 83.

([5]) واصل بن عطاء: واصل بن عطاء ابو حذيفة البصري الغزال لأنه كان يدور في سوق الغزل ليتصدق على الناس اللواتي يبعن الغزل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني ضبة هو رأس المعتزلة وكبيرهم ورئيسهم، (ت 131هـــــ)، ينظر:الوافي بالوفيات، 27/ 247: الفرق بين الفرق ص:20، الملل والنحل 1/ 50، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص 13.

([6]) الحسن البصري: (المعروف بالحسن البصري)جعفر بن علي بن جعفر بن الرشيد الشيخ المعمر شرف الدين الموصلي المقرئ ولد بالموصل سنة أربع وستمائة وكان شيخا فاضلا حفظة للأخبار والشعر والأدب ينظر: الوافي بالوفيات، 91/11 وفيات الأعيان 2/ 71، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ، ص 13 .

4ــ أهل التوحيد نسبة إلى قولهم في التوحيد .

وغيرها من الأسماء التي أطلقت عليهم .

ثانياً :- الأشاعرة :

هي من الفرق الإسلامية الكبيرة، وهي أوسع انتشاراً في العالم، وقد كان لها الفضل الكبير في الرد على الشبهات الواردة من قبل أهل الزيغ وتعود نسبتهم إلى الإمام أبي الحسن الأشعري_ رحمه الله _[1] .

ونشأة هذه الفرقة تعود إلى القرن الثالث الهجري تحت ظل أحداث فكرية هامة وعقدية كثيرة، حيث كانت الظروف أنذاك مضطربة خصوصاً في المسائل العقدية لوجود الفرق الكثيرة، وكل فرقة اتخذت منهجاً لمبادئها منها ما جعلت العقل معياراً لكل شيء، وفضلت العقل على النقل، ومنها ما نفت القدر وعلم الله تعالى بجميع الأمور، لذا في هذه الفترة ظهرت فرقة الاشاعرة التي توسطت في الاستدلالات العقدية بحيث اعتمدت على العقل والنقل معاً وجعلت العقل خادماً للنقل، وذلك لأجل الدفاع عن آراء المسلمين بسلاح العقل بجانب النقل، ومواجهة التيارات الفكرية والعقدية خصوصاً في قلب عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد . [2]

ويمثل بروز المذهب الأشعري نقطة تحول مهمة في الفكر الإسلامي وعلم الكلام بحيث أصبحت من الفرق الكلامية العظيمة، التي أثرت على فكر وعقيدة المسلمين، وغيرت مسار الفكر والعقيدة، وجعلت الفكر الإسلامي يواجه الفلاسفة وعلماء الكلام بالأدلة العقلية والنقلية. [3]

([1]) ابو الحسن الأشعري: ابو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، أحد أعلام أهل السنة والجماعة وإليه يُنسب المذهب الأشعري، لقب بإمام أهل السنة والجماعة وبناصر الدين وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، مات في بغداد (ت 324هـــــ) ينظر: تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ،تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف 346/11.

([2]) ينظر: الأشاعرة وموقفهم من الإيمان ، دراسة عقدية تحليلية ، ئوميد عبد القادر رسول، مجلة كلية العوم الإسلامية جامعة بغداد ، العدد 70 ، ص: 535 .

([3]) ينظر: الفرق الإسلامية منذ البدايات ، سعد رستم ، سوريا ، دمشق ، ط/ 205م ، ص:123 .

المبحث الثاني

أسباب الاختلاف وأثره على صفة الكلام الإلهي

المطلب الأول

أسباب الاختلاف في المعدوم

هذه المسألة من دقائق المسائل لما لها من تعلقات مختلفة ، فالواجب فيها تحرير محل النزاع لتداخل الصور في المسألة ، فإذا أريد بتعلق الخطاب بالمعدوم أن يخاطب المعدوم حال عدمه بخطاب يفهمه ويمتثله فلا نزاع في بطلان ذلك وعدم صحته ، إذ من شروط المخاطب أن يتمكن من الفهم والفعل، والمعدوم لا يتصور منه ذلك ، فامتنع تكليفه لهذا المعنى اتفاقاً ، أما إذا أريد به قيام الطلب بذات الله تعالى من المعدوم بفعل أو ترك إذا وجد واتصف بصفات المكلفين ، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ هذا هو محل النزاع. بين المتكلمين ، وعليه يمكن إرجاع أسباب الاختلاف في الصورة الأخيرة من محل النزاع إلى الآتي :

إلى القول بأنه يقال: هل يجوز تعلق الخطاب بالمعدم في حال عدمه أم لا ؟ وما هو المراد بتكليف المعدوم ، هل هو قيام الطلب في الأزل بذات الله تعالى أم لا ؟

فمن قال يجوز تعلق الخطاب بالمعدوم حال عدمه قالوا يجوز قيام الطلب في الأزل بذات الله تعالى من المعدوم بفعل المأمورات وترك المنهيات ، وذلك عند وجوده واتصافه بصفات المكلفين ، فإنه حينئذ يصير مكلفاً بذلك الطلب القديم من غير تجديد طلب آخر.[1]

يعني أن المعنى القائم بذات الله تعالى الذي هو طلب الطاعة من العباد قديم تعلق بهم على تقدير وجودهم ، بشرائط التكليف ، فإذا وُجدوا صاروا مأمورين بذلك الطلب الذي تعلق بهم حال عدمهم [2]

وبهذا تعلم أن القائلين بتكليف المعدوم لا يريدون به أن يأتي المعدوم حال عدمه بالمأمور به ، فمنع ذلك محل وفاق بين الجميع .

([1]) ينظر: المحصول ، للرازي (255/2)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، تحقيق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود ، عالم الكتب – لبنان / بيروت – 1999 م – 1419 هـ (64/2).

([2]) ينظر: ميزان الأصول في نتائج العقول ، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي ، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر (297/1).

وقد اختلفوا في تكليف المعدوم أي: في تعلق الحكم به حال عدمه ، هل يصح ذلك أم لا ؟ على مذهبين أصحهما المذهب القائل : يصح تعلق الحكم بالمعدوم حال عدمه بالمعنى الذي سبق بيانه آنفاً ، وهو أن الأمر من الله تعالى يجوز أن يكون موجوداً في الحال ، ثم إن الشخص الذي سيوجد بعد ذلك يصير مأموراً بذلك الأمر.

قال الباقلاني[1]: "والصحيح عندنا أنه يجوز أمره أي: المعدوم ، وأنه مأمور على الحقيقة، وإن أمره أمر إيجاب وإلزام على الحقيقة ، بشريطة وجوده وكونه على صفة من يصح تكليفه ".[2]

وقال الرازي: _ رحمه الله_ قال أصحابنا المعدوم يجوز أن يكون مأموراً"[3]، وقال الآمدي _ رحمه الله_ "مذهب أصحابنا جواز تكليف المعدوم".[4]

ومن الاسباب الأخرى اختلافهم في لفظ شيء هل هو الموجود أم لا ؟

فلفظ الشيء عند المعتزلة يطلق على الموجود والمعدوم ولا بد من التفرقة بين المعدوم المستحيل وهو الشريك للباري ، والمعدوم الممكن وهـو الممكن قبل وجوده العيني في علم الله تعالى.

فعلماء الأشاعرة قصروا معنى الشيء على الموجود فقط ، أما المعتزلة فوسعوا القول في دائرة الشيء حيث وصـفوه بـالمعلوم فيـشمل الموجود العيني والذهني حيث قالوا: أن الشيء صالح لكل ما أمكـن ذكـره أو الإخبار عنه ، أي أنهم توسعوا في دائرة الحمل لما هو موجود وجودا عينيا فـي الخارج ، وما هو ذهنيا يقصدون بذلك المعدوم الممكن ؛ لأن المستحيل منفى وليس له أي نوع من الوجود.

وهذا ما تحدث عنه الإمام الجويني[1]، فـي التفرقـة بـين رأي الأشاعرة والمعتزلة في لفظ شيء حيث قال: "ما صار عليه أهل الحق أن حقيقة الشيء الموجود وكل شيء موجود وكل

([1]) تمت ترجمته سابقاً .

([2]) التقريب والإرشاد (الصغير) الباقلاني ، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد : مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م (298/2).

([3]) المحصول ، للرازي (255/2).

([4]) الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان (153/1).

موجود شيء ولا يوصف بكونه شيئا لا يوصف بالوجود، وما لا يوصف بالوجود لا يوصف بكونه شيئا، فأطرد الحال في طرده وعكسه. والمعدوم منتف من كل الوجوه ومعنى تعلق العلم به العلم بانتفائه. وذهبت المعتزلة إلى أن حقيقة الشيء المعلوم؛ واطردوا ذلك وعكسوه، وقالوا على مقتضاه كل معدوم شيء" . [2]

وكل فريق قد استدل بمجموعة من الأدلة التي توافق مذهبه ولست بصدد ذكر أدلة الطرفين ومناقشتها بقدر تعلق الأمر بإيضاح أسباب الاختلاف بين الطرفين .

وثمة سبب أخر وهو الخلاف في قسمة الموجودات ؟

فالأشاعرة قسموا الموجودات قسمة ثنائية إلى قديم ومحدث فقط، فما ذلك إلا أن المعتزلة أو بعضهم قسمها قسمة ثلاثية إلى قديم ومعدوم ومحدث مع فهمهم المحدث لا على أنه ما لم يكن ثم كان بل أنه ما كان ثم كان: أي ما كان معدوما ثم صار موجودا. والمعدوم عندهم هو ما له حظ ما من الوجود. بل إن بعضهم لم يفرق بينه وبين الموجود، ومعنى ذلك أنه إذا كانت الأشعرية تقول بان الله خلق ما خلق لا من شيء، فإن المعتزلة أو بعضهم قد ذهبوا على العكس من ذلك إلى أن الله خلق ما خلق من شيء .

المطلب الثاني

أثر الاختلاف في المعدوم على صفة الكلام الإلهي

للاختلاف بين المعتزلة والأشاعرة تأثير مباشر على فهم صفة الكلام الإلهي، حيث يرتبط هذا الاختلاف بمنهج كل فرقة في تعريف المعدوم وطبيعته وما إذا كان له وجود اعتباري أم لا

تعريف كلام الله تعالى يقول الإمام الصاوي[3] _ رحمه الله_ ثم إن الكلام في حق الله تعالى صفة أزلية قائمة بذاته ليست بحرف ولا صوت، منافية للسكوت والآفة فكلام الله تعالى ليس

([1]) الإمام الجويني إمام الحرمين هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ولد بنيسابور وتربى في حجر العلماء، وأكب على دراسة العلم والاجتهاد(ت 478هـ)، ينظر: الإمام الجويني إمام الحرمين، محمد الزحيلي، دار القلم، ط2، 1999م، دمشق، 19 .

([2]) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، 1396هـ ، ص:134 .

([3]) الإمام الصاوي: ابو العباس أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي الفقيه المالكي، علم من أعلام المذهب المالكي، (ت 1241هـ)، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر. توفي بالمدينة

بحرف ولا صوت، وإذا كان كلام الله تعالى ليس بحرف وصوت فهو بذلك منزه عن خصائص الحروف والأصوات من التقديم والتأخير والإعراب والبناء وما شابهها، ويقول العلامة الصفاقسي[1]كذا من صفات المعاني الواجبة الله الكلام النفسي الأولي القائم بذاته العلية المنزه عن الحروف، والأصوات واللحن، والإعراب، والتقديم، والتأخير، والسكوت، وكل آفة مما هو من خواص الحوادث الذين كلامهم على حسب ما يساعد آلة اللسان من الترتيب بل كلام مولانا تعالى صفة من صفات ذاته دائمة لا تنقطع أبد الآباد وإنما لم نسمعه لما ضرب علينا من الحجاب.... ويتعلق بكل ما يتعلق به العلم من الواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة [2] .

إن الاختلاف في المعدوم وشيئيته أنعكس على الخلاف في كلام الله تعالى هل هو أزلي قائم بذات الله تعالى ، أم أنّه مخلوق خلقه في غيره ؟

إن الناظر في المصنفات المدرسة الأشعرية يجد أنهم قد أثبتوا الكلام الله تعالى صفة، هو بها متكلم، وفي ذلك يقول الإمام التلمساني[3]، _ رحمه الله_: " ذهب أهل الحق أن الله تعالى متكلم بكلام" [4] .

عند تعريف الأشعرية لكلام الله تعالى نجد أنهم انطلقوا من أصل محكم، وهو نفي المشابهة بين صفات الله تعالى وصفات غيره من العالم، فكما أن كلام الحوادث حرف وصوت وفيه

المنورة. من كتبه (حاشية على تفسير الجلالين – – ط) وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية و (الفرائد السنية –) شرح همزية البوصيري، ينظر: الاعلام للزركلي، 1/ 246 .

([1]) الإمام الصفاقسي: ابو الحسن علي بن محمد النوري بن سليم الصفاقسي الإمام المقرئ المحدث المسند العلامة الفقيه المتكلم المحقق، ولد في مدينة صفاقس في تونس سنة 1053هـــــــــ، رغب في التعليم رحل إلى تونس لطلب العلم والنهل من علمائها وعانى كثيراً في الرزق والمؤونة والمعيشة إلى أن يسر الله عليه، ودرس وحفظ المتون والعلوم الشرعية والعربية، ثم ارتحل إلى مصر فالتقى بعلمائها وشيوخها فراح ينتقل ويستفيد منهم ويأخذ من علمهم فدرس القراءات وحفظها وقرأ القراءات على شيوخ زمانه،(ت 1118هـــــــــ)، ينظر: الاعلام للزركلي، 5/ 14 .

([2]) تقريب البعيد إلى جوهر التوحيد: علي بن محمد الصفاقسي ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة المعارف، 72 .

([3]) الإمام التلمساني: عبد الله بن محمد بن علي، أبو محمد، شرف الدين الفهري التلمساني: فقيه أصولي شافعيّ. أصله من تلمسان اشتهر بمصر، وتصدر للإقراء. وصنف كتبا منها " شرح المعالم في أصول الدين، وشرح لمع الأدلة للإمام الجويني (ت 644 هـــــــــ)، الاعلام للزركلي، 125/4 .

([4]) شرح لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة: الإمام ابن التلمساني : تحقيق محمد سيد عبد الوهاب ، القاهرة ، دار الحديث، 117 .

إعراب وبناء ولحن وما شابهه من الأوصاف، فكلام ربنا تبارك وتعالى منزه عن كل ذلك لأنه ليس كمثله فيه".

قالت المعتزلة : لو كان الكلام أزلياً لكان أمراً ، ولوكان أمراً لتعلق بالمخاطب في عدمه [1]، بينما ذهبت الأشاعرة إلى القول بأن كلام الله تعالى أزلي قائم بذات الله تعالى ، فالله تعالى متكلم بكلام قديم أزلي، آمر بأمر قديم ، وليس هناك مأمور [2]، والمعتزلة تنكر هذا .

فذهبت المعتزلة في إثبات صفة الكلام الإلهي مذاهب مختلفة إلا أنها اتفقت على أسس رئيسية ثلاثة هي :

1- اتفقت على أن كلام محدث غير قديم .

2 – أن كلام الله تعالي قائم بمحل لا بالله تعالى

3ــ أن الكلام هو ما يسمع فقط.

إن المعتزلة يرون أن كلام الله تعالى هو المسموع المكون من حرف وأصوات وأن المتكلم عندهم من فعل الكلام لا من قام به الكلام أما عن الكلام فقد قالت أنه يحصل من الحروف المعقولة وله نظام مخصوص[3]

فالكلام لو كان غير الصوت لصح وجود الصوت دون الكلام لكن الملاحظ أن الصوت المقطع هو الكلام ؛ لأن الكلام لا يسمع إلا عن طريق الصوت والكلام عند المعتزلة، لا يبقي لأنه صوت والصوت يسمع وقت النطق به وبعد ذلك يتلاشى ولما كان الكلام لا ينفصل عن الصوت وجب أن يكون حكمه حكم الصوت حادث.

قال الزركشي[4]ــ _ رحمه الله _ "وأصل الكلام في هذه المسألة: أن أصحابنا لما أثبتوا الكلام النفسي وأن الله تعالى لم يزل آمرا ناهيا مخبرا. قيل عليهم من قبل الخصوم القائلين بحدوثه:

([1]) ينظر: البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق د. عبد العظيم محمود الديب، المنصورة – مصر 193/1.

([2]) ينظر: الوصول إلى الأصول، ابن برهان 176/1.

([3]) ينظر: المحيط بالتكليف: القاضي عبد الجبار، 309 .

([4]) هو : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والاصول. تركي الاصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الاجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) ينظر: الاعلام للزركلي 61/6.

إن الأمر والنهي بدون المخاطب عبث، فاضطرب الأصحاب في التخلص من ذلك على فرقتين" [1] .

فعند الأشاعرة أن كلام الله صفة قديمة أزلية قائمة بذاته أبدا، وهو يتصف بكونه أمرا ونهيا خبرا واستخبارا، فإذا ثبت هذا الأصل فقد ثبت أنه أمر للمعدوم، لأن كلامه في الأزل اتصف بكونه أمرا ونهيا، وأما المعتزلة فصاروا إلى أن كلامه مخلوق حادث بخلقه إذا أمر أو نهى وهو عبارة عن الأصوات والحروف فلا أمر ولا نهي قبل المأمور.

ثم اختلف القائلون أن الأمر يتعلق بالمعدوم:

1ــ فمنهم من قال : أنه أمر إلزام وإيجاب على الحقيقة بشرط وجوده على صفة من يصح تكليفه، سواء كان في الحال موجودًا يتوجه الخطاب إليه، أو لم يكن، وهو اختيار أبي بكر الباقلاني.

2ــ ومنهم من قال : هو أمر إلزام على تقدير وجود المكلف ووجود شرائط التكليف.

2ــ ومنهم من قال : إن هذا أمر إعلام، إذا كان كيف يكون، وليس بأمر إيجاب وإلزام.

3ــ ومنهم من قال: يتعلق بالمعدوم ، إذا كان هناك موجود مخاطب ببلاغة؛ فأما إن لم يكن من يتوجه الخطاب إليه فلا. [2]

ومن الأسباب الأخرى التي انعكست وأثرت في مسألة الكلام الإلهي : اختلافهم في تفسير معنى الكلام ، وهل هو من صفات الذات أم من صفات الفعل ؟

فالمعتزلة فسروا الكلام بخلق الكلام، فالمتكلم عندهم هو خالق الكلام وفاعله، فليس الكلام عندهم من صفات الذات ، بل من صفات الأفعال ، ومن ثم فلا يكون موجوداً في الأزل بل فيما بعد ، وقالوا : إن القول بأزلية الكلام يلزم منـــه وجود أمر ونهي وخبر من غير متعلق موجود ، أي: بلا مأمور ولا منهي ولا مخبر ، وذلك باطل إذ وجود الكلام دون

([1]) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، دار الكتبي ، الطبعة: الأولى، 1414هـــ - 1994م 99/2

([2]) ينظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة : الثانية 1410 هـــ - 1990 م 387/2.

مأمور موجود سفه وهذيان يتعالى عنه المولى عز وجل ، ومن هذا الطريق توصلوا إلى نفي كون الكلام أزلياً[1] .

وقد وجه جمهور الأشاعرة لدليل المعتزلة اعتراضين:

الاعتراض الأول: أن قولهم باستحالة وجود أمر ونهي بلا متعلق موجود هو بعينه محل النزاع ، فلا يجوز أخذه في الدليل، فهذا الدليل باطل.

الاعتراض الثاني: أن الوجود نوعان: وجود عيني خارجي ، ووجود علمي ، ولابد من وجودهما أو أحدهما حتى يتعلق به الأمر، هذا شيء مسلم ، أما لو أريد الوجود العيني الخارجي فقط فلا يسلم انتفاء التالي ، لأن المتعلق الذي هو معدوم في الخارج، ثابت في علم الله تعالى أزلاً. [2]

والحاصل أن نزاع المعتزلة ليس في تعلق الأمر بالمعدوم أو عدم تعلقه به، بل نزاعهم إنما هو في كون كلام الله أزلياً ، فهم ينكرون ذلك ويقولون : إنه حادث ، ومن ثم ينفون الكلام النفسي، وإلا فالكلام اللفظي التنجيزي لا ينكرون تعلقه بالمعدوم.

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن نزاعهم في تكليف المعدوم ليس لكونه معدوماً ، بل نزاعهم في الكلام النفسي الذي إذا ثبت وجوده ثبت تعلق الأمر بالمعدوم في الأزل.

بخلاف قول الأشاعرة الذين يذهبون إلى إثبات الكلام النفسي فلا إشكال عندهم في تعلقه بالمعدوم ، رغم أنهم مختلفون في تفسير الكلام النفسي هل هو مسموع أو لا ؟

وعلى كل حال فإن الأدلة التي استدل بها الأشاعرة ومن وافقهم على جواز تعلق الحكم بالمعدوم هي في مجملها مبنية على أن كلام الله تعالى نفسي فقط ، وأنه واحد لا تعدد فيه إلا بحسب متعلقاته ، وأنه قديم ، ويريدون بذلك أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت.

([1]) ينظر: المحيط بالتكليف المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار جمع الحسن بن أحمد بن متوية تحقيق عمر السيد عزمي مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، المؤسسة المصرية، الدار المصرية، ص:315، ونهاية السول شرح منهاج الوصول ، الإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ– 1999م 307/1 ــ

([2]) ينظر: رفع الحاجب 67/2 .

ومن الأسباب الأخرى التي لها تعلق بالمعدوم وأثرت على الكلام الإلهي هل من شرط وجود الخطاب سواء كان أمراً أو نهياً أو خبراً وجود المخاطبين أزلاً ؛ فيلزم عليه تعدد القدماء ، وإلا يكون وجود الكلام دون مأمور موجود سفه وهذيان يتعالى عنه المولى عز وجل ؟

هذا ما حكاه ابن السبكي [1] ، حيث قال إن المعتزلة: "قالوا لم يكن مع الله سبحانه في الأزل أحد فيأمره وينهاه ، وإلا لكان هو أزلياً مثله ، وذلك باطل ، وإذا لم يكن معه أحد استحال حصول الأمر ، لانتفاء المأمور ، وإذا استحال حصول الأمر استحال حصول الكلام، فكان هذا سبباً في القول بخلق القرآن" [2]

هذا الاستدلال مؤداه نفي تكليف المعدوم في الأزل ، وبالتالي نفي الكلام النفسي ، ولعل السبب في نسبة إنكار الحكم على المعدوم إلى المعتزلة دون غيرهم ممن ينكر الكلام النفسي: فمع أن إنكار الكلام النفسي ليس خاصاً بالمعتزلة ، بل يشاركهم في ذلك سائر الفرق غير الأشاعرة [3]مع ذلك ينسب إليهم إنكار تعلق الحكم بالمعدوم ، فلعل السبب في ذلك إنكارهم قدم نوع كلامه تعالى ، فلم يعتبروه من الصفات الذاتية كما تقدم بل جعلوا الكلام من صفات الفعل وليس من صفات الذات وبالتالي فسروه بالمخلوق المنفصل الذي خلقه في غيره.

فالمعتزلة يطلقون القول بأن الله تعالى يتكلم بمشيئته ولكن مرادهم في ذلك أنّه يخلق كلاماً منفصلاً في غيره ، بينما يرى الأشاعرة أن الكلام من صفة ذات لا صفة فعل وسيأتي مزيداً من التفصيل عند الكلام عن سبب اختلافهم في الصفات .

([1]) هو : "أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي، كان عالمًا بالفقه ماهرًا في الأصول، بارعًا في الحديث والأدب، شارك في العربية، وكانت له يد في النظم والنثر، انتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، من مصنفاته: «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب»، و«جمع الجوامع»، و«منع الموانع»، و«المنهاج» في الأصول، و«الأشباه والنظائر»" . ينظر: البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٣١٦)، «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢/ ٤٢٥)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣/ ١٠٤)، «البدر الطالع» للشوكاني (١/ ٤١٠)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٢١)،

([2]) رفع الحاجب 67/2.

([3]) ينظر: المحصول 255/2: وشرح تنقيح الفصول ص: 145.

الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز للمعدوم والاختلاف الحاصل بين المتكلمين يمكن القول إلى أن الاختلاف في مفهوم المعدوم بين المعتزلة والأشاعرة يتعلق بطبيعة وجود الأشياء غير الموجودة حاليًا وكيفية تصورها:

1- المعتزلة: يرون أن المعدوم هو شيء له وجود في الأذهان ولكنه غير موجود في الواقع الخارجي.

2- والمعتزلة برون أن المعدوم عندهم يمكن أن يُتصور وأن يكون له حقيقة في الذهن، ويعتبرون أن الأشياء المعدومة لها صفات محددة حتى وإن لم تكن موجودة في الواقع.

3- الأشاعرة: يرون أن المعدوم لا يمكن أن يكون له أي نوع من الوجود، لا في الأذهان ولا في الواقع.

4- المعدوم عند الأشاعرة هو شيء غير موجود مطلقًا ولا يمكن أن يُتصور أو يُعتبر له أي صفات لأنه لا وجود له بأي شكل من الأشكال.

5- هذا الخلاف أثر على بعض الصفات الإلهية ولعل أهم تلك الصفات هي صفة الكلام الالهي .

6- فالمعتزلة ذهبوا إلى القول بأن الكلام مخلوق بخلاف الاشاعرة الذين يقولون بالكلام النفسي .

المصادر والمراجع

1) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه 785هـ)) تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ، دار الكتب العلمية – بيروت، عام النشر: 1416هـ - 1995 م

2) الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان (153/1).

3) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، 1396هـ.

4) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، طبعة دار العلم، بيروت، لبنان.

5) الأعلام، لخير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، 1986م.

6) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، 1413هـ.

7) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، دار الكتبي ، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م

8) البداية والنهاية، لابن كثير، طبعة دار الريان للتراث، 1498هـ.

9) البدر الطالع، للشوكاني، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

10) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق د. عبد العظيم محمود الديب، المنصورة – مصر

11) بغية الوعاة، لجلال الدين السيوطي، طبعة المكتبة العصرية.

12) التقريب والإرشاد (الصغير) الباقلاني ، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد : مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م

13) التمهيد ، للباقلاني، تحقيق محمود الخضيري، ومحمد أبو ريدة، الناشر دار الفكر العربي.

14) تهافت التهافت، لابن رشد، تقديم د. محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.

15) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

16) الديباج المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث، مصر.

17) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، تحقيق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود ، عالم الكتب – لبنان / بيروت – 1999 م – 1419 هـ

18) سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، 1413هـ. بيروت.

19) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

20) الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.

21) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ، الطبعة الأولى.

22) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة : الثانية 1410 هـ – 1990 م

23) العين، للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال .

24) كشف الظنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ – 1992م.

25) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص55، وينظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي ص655.

26) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للفخر الرازي، مراجعة طه ، عبد الرؤوف سعد الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

27) المحصول ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م

28) المحيط بالتكليف المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار جمع الحسن بن أحمد بن متوية تحقيق عمر السيد عزمي مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، المؤسسة المصرية، الدار المصرية،

29) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.

30) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ" .

31) منع الموانع عن جَمْعِ الجَوَامِعِ، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ (ت: ٧٧١ هـ)

32) ميزان الأصول في نتائج العقول ، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي ، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر (297/1).

33) نهاية السول شرح منهاج الوصول ، الإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م

34) فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ) ، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

35) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

36) التعريفات، للجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1407هـ.

37) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني ،المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ .

38) الأشاعرة وموقفهم من الإيمان ، دراسة عقدية تحليلية ، ئوميد عبد القادر رسول، مجلة كلية العوم الإسلامية جامعة بغداد ، العدد 70 .

39) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ،تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف .

40) الفرق الإسلامية منذ البدايات ، سعد رستم ، سوريا ، دمشق ، ط/ 205م.

41) تقريب البعيد إلى جوهر التوحيد ، علي بن محمد الصفاقسي ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة المعارف.

42) شرح لمع الأدلة ، التلمساني ، تحقيق محمد سيد عبد الوهاب ، القاهرة ، دار الحديث.

Sources and References

1) Al-ibhaj fi sharh al-minhaj (Minhaj al-wasul ila ilm al- usul by judge al-baydawi who died in the year (785 AH) Taqi al-Din Abu al-hasan ali bin abdul-kafi bin ali bin tamam bin hamid bin yahya al-subki and his son taj al-din abu nasr abdul-wahhab, dar al- kutub al-IImiyyah, Beirut, year, published: 1416 AH- 1995 AD .
2) Al- Ahkam fi Usul al-Ahkam, al- amidi, edited by: Abdul- Razzaq Afifi, alMaktab al- Islami, Beirut- Damascus- Lebanon (153- 1)
3) Al-Irshad ila Qawaati al-Adilla fi Usul al-I'tiqad, by Abu al-Ma'ali al- Juwayni , edited by Muhammad Yusuf Musa and Ali Abdul-Moneim, al-Khanji Library, al- Sa'adah Press, Egypt, 1396 AH .

References

1. Al-Ibhaj fi Sharh al-Minhaj (Minhaj al-Wusul ila Ilm al-Usul by Judge al-Baydawi who died in the year (785 AH) Taqi al-Din Abu al-Hasan Ali bin Abdul-Kafi bin Ali bin Tamam bin Hamid bin Yahya al-Subki and his son Taj al-Din Abu Nasr Abdul-Wahhab, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, year, Published: 1416 AH-1995 AD
2. Al-Ahkam fi Usul al-Ahkam, al-Amidi, edited by: Abdul-Razzaq Afifi, al-Maktab al-Islami, Beirut - Damascus - Lebanon (153/1).
3. Al-Irshad ila Qawaati al-Adilla fi Usul al-l'tiqad, by Abu al-Ma'ali al-Juwayni, edited by Muhammad Yusuf Musa and Ali Abdul-Moneim, al-Khanji Library, al-Sa'adah Press, Egypt, 1396 AH.
4. Al-Ashbah wa al-Naza'ir fi Qawa'id wa Furu' Fiqh al-Shafi'iyyah: by Jalal al-Din Abdul-Rahman al-Suyuti Died in 911 AH, Dar al-Ilm edition, Beirut, Lebanon.

5. Al-A'lam by Khair al-Din al-Zarkali, Dar al-Ilm lil-Malayin edition, 1986.
6. Al-Insaf fi ma yab ibtiqad wa la yaz al-jam'i bihi by al-Baqillani, edited by Muhammad Zahid al-Kawthari, Al-Azhar Library for Heritage, 1413 AH.
7. Al-Bahr al-Muhit fi Usul al-Fiqh al-Zarkashi, Dar al-Kutubi, first edition, 1414 AH, 1994 AD.
8. Al-Bidayah wa al-Nihayah by Ibn Kathir, Dar al-Rayyan edition for Heritage, 1498 AH.
9. Al-Badr al-Tali', by al-Shawkani, publisher Dar al-Kitab al-Islami, Cairo.
10. Al-Burhan fi Usul al-Fiqh, Abd al-Malik ibn Abd Allah ibn Yusur al-Juwayni Abu al-Ma'ali, edited by Dr. Abd al-Azim Mahmoud al. Deeb, Mansoura-Egypt.
11. Bughyat al-Wu'at, by Jalal al-Din al-Suyuti, Modern Library edition.
12. Al-Taqrib wa al-Irshad (Al-Sageer) by al-Baqillani, edited by: Dr. Abdul Hamid bin Ali Abu Zunaid Al-Risala Foundation, Second Edition, 1418 AH-1998 AD
13. Introduction by Al-Baqillani, edited by Mahmoud Al-Khudairi and Muhammad Abu Rida, published by Dar Al-Fikr Al-Arabi.
14. Tahafut Al-Tahafut by Ibn Rushd, presented by Dr. Muhammad Al- Aribi, Dar Al-Fikr Al-Lubnani, Beirut, Lebanon, First edition, 1993 AD.
15. Al-Durrar Al-Kamen in A'yaan Al-Mean Al-Tamenah,by Ibn Hajar published by Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon.
16. Al-Depaaj Al-Dhabi, by Ibn Farhun Al-Maliki, edited by Muhammad Al-Ahmadi, Dar Al-Turath, Egypt.
17. Raffa'a Al-Hajeb from Ibn Al-Hajeb's Summary, edited by: Ali Muhammad Mu'awwad, Adel Ahmad Abdul Mawjoud, Alam Al-Kutub-Lebanon/Beirut-1999 AD-1419 AH.
18. Biographies Alaam Al-noblaa, by Al-Hafiz Al-Dhahabi, edited by Shu'ayb Al-Arna'ut, Muhammad Na'im Al-Arqasousi, Al-Risala Foundation, ninth edition, 1413 AH. Beirut.
19. Shathraat AlDahab in Aknbaar men Dahab of by Ibn al-Imad al-Hanbali, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon.
20. As-Sahah, Ismail bin Hammad al-Jawhari, edited by Ahmad Abdul Ghafoor Attar, Dar al-Ilm for Malayeen, Beirut, third edition, 1404 AH.
21. Tabakkat Al-Shafeeya by Ibn Qadi Shabah, edited by Dr. Al-Hafiz Abdul Aleem Khan, Alam al-Kutub, Beirut, 1407 AH, first edition.
22. Al-'IddahFi Osol Al-Fikh, Judge Abu Ya'la, Muhammad bin al-Husayn bin Muhammad bin Khalaf bin al-Farra', edited and

commented on and its text was issued by: Dr. Ahmad bin Ali bin Sir al-Mubaraki, second edition 1410 AH-1990 AD
23. Al-'Ain, by Al-Khalil bin Ahmad, edited by Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim al-Samarra'i, Dar Maktabat al-Hilal.
24. Kashf al-Zunun by Mustafa bin Abdullah al-Qastantini al-Rumi al-Hanafi, known as Haji Khalifa, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1413 AH-1992 AD.
25. Muhsal al-Afkar al-Mutaqaddim wa al-Makhādirin, page 55, and see: al-Kulliyat by Abu al-Baqa al-Kafwi page 655.
26. Muhsal al-Afkar al-Mutaqaddim wa al-Makhādirîn, by al-Fakhr al-Razi, reviewed by Taha, Abd al-Ra'uf Sa'd, Publisher: Al-Azhar Colleges Library, Cairo.
27. Al-Mahsul, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, the preacher of Rayy (died: (606 AH), Study and investigate by: Dr. Taha Jaber Fayyad Al-Alwani, Al-Risala Foundation, third edition 1418 AH-1997 AD.
28. Al-Muheet Al-Talkifli Al-Muheet Al-Talkifli by Judge Abdul Jabbar, collected by Al-Hassan bin Ahmed bin Mutawiyah, investigated by Omar Al-Sayed Azmi, reviewed by Dr. Ahmed Fouad Al-Ahwani, Egyptian Foundation, Dar Al-Masriya.
29. Dictionary of Authors by Omar Reda Kahala, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
30. Dictionary of Mujamm Al-Lugah by Ahmed bin Faris, investigated by Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut, first edition, 1411 AH.
31. Mann'a Al-Mawanee An Jamm'a Al-Jawami', by Taj al-Din al-Subki (d. 771 AH).
32. Mizan al-Usul fi Nata'ij al-Uqul, Alaa al-Din Shams al-Nazar Abu Bakr Muhammad ibn Ahmad al-Samarqandi, edited and commented by Dr. Muhammad Zaki Abd al-Barr, Doha Modern Printing Press, Qatar (297/1).
33. Nihayat al-Sul Sharh Minhaj al-Wusul, Imam Jamal al-Din Abd al-Rahim al-Isnawi, Dar al-Kutub Al-Ilmiyyah Beirut Lebanon, first edition 1420 AH-1999 AD.
34. Fawat al-Wafiyat, Muhammad ibn Shaker ibn Ahmad ibn Abd al-Rahman ibn Shaker ibn Harun ibn Shaker, nicknamed Salah al-Din (died, 764 AH), edited by: Ihsan Abbas Dar Sadir, Beirut first edition.
35. al-Kulliyyat, by Abu al-Baqa al-Kafwi, edited by Dr. Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, Foundation al-Risala, Beirut, first edition, 1412 AH.

36. Al-Tareefat of Al-Jurjani, edited by Abdul Rahman Amara, Alam Al-Kutub, first edition, 1407 AH.
37. Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran by Al-Raghib Al-Isfahani, edited by: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, first edition-1412 AH.
38. The Ash'aris wa mawkefihum from Al-Iman, an analytical doctrinal study, Tumid Abdul Qadir Rasool, Journal, College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Issue 70.
39. Tarih Baghdad, by Al-Khatib Al-Baghdadi, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, Investigation: Dr. Bashar Awad Marouf.
40. A-firk Al-Islamih Moth Al-Bedayat Damascus, 205th edition. Saad Rustum, Syria,
41. Takreeb Al-Beed Ila Jawhar Al-Tawheed, Ali bin Muhammad Al-Safaqi, Beirut, Lebanon, Foundation of Al-Maaref.
42. Shareeh Lamee'a Al-Adellah, Al-Tilimsani, Investigation by Muhammad Sayyid Abdul-Wahhab, Cairo, Dar Al-Hadith.